مقدمة

يخطىء من ينظر إلى اللهجات العامية على أنها كلها انحراف عن اللغة الفصحى. إن الألفاظ العامية إما أن تكون فى الأصل ألفاظاً فصاحاً أصابها التغيير، بالتحريف أو القلب أو الإبدال، أو باستعمال بعض الألفاظ بمدلولات جديدة تخالف مدلولاتها الأصلية، أو بمخالفة ما قرره النحاة وما تعارف عليه اللغويون وما اتفق واللسان العربى، ولا يتعارض هذا مع الحقيقة التى لا يمكن إنكارها،وهى أن قدراً لا يُستهان به مما يستعمله العوام قد يكون لغةً، أو لهجة قبيلة، وإما أن تكون تلك الألفاظ العامية ألفاظاً أعجمية: تركية، أو قبطية، أو فارسية أو غير ذلك مما استوعبته هذه العامية، ويتفاوت هذا الأمر من عامية لأخرى؛ إذ تكثر، مثلاً، فى العامية المصرية الألفاظ القبطية والتركية، على حين يبدو أثر الآرامية كبيراً فى سوريا ولبنان.

وثمة ملاحظة جديرة بالنظر، وهى تشعُّب العاميات وتعددها واختلافها اختلافاً بيِّناً؛ فهناك العامية المصرية، والعامية السودانية، والعامية المغربية... ولم يكن الأمر مقصوراً على اختلاف العاميات من قُطر لآخر، بل تعداه إلى تباين تلك اللهجات فى إطار (المحافظة) أو الولاية الواحدة، وقد أدى هذا إلى تعدد أشكال مخالفة الفصحى، وانحراف بعض الأصوات عن صورتها الأصلية.

وقد اتجهت عناية البعض إلى الدفاع عن اللهجات العامية، دفعاً لِوَهْم من يتوهم أن العوام لا يصيبون فيما ينطقون، فالف ابن الحنبلى (ت ٩٧١هـ): (بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوام)، وكتب يوسف المغربى (ت ١٠١٩هـ): (دفع الإصر عن كلام أهل مصر)، وقام ابن أبى السرور الشافعى (ت ١٠٨٧هـ) باختصاره فى مؤلف بعنوان (القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب).

وأدى انتشار اللحن فى كلام العوام إلى محاولة البعض إصلاح هذا الخطأ والتنبيه عليه؛ فكانت هناك مؤلفات غايتها بيان ما فى كلام العامة من أخطاء، وذِكْر الصواب مع التعليل والشرح، ومن هذه المؤلفات: (ما تلحن فيه العوام) للكسائى (ت ١٨٩هـ)، و(لحن العوام) للزُّبيدى (ت٣١٦هـ)، و(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكى الصقلى (ت٥٠١هـ)، الذى يصحح ما شاع من أخطاء لغوية لا بين العامة فحسب، بل بين الخاصة أيضاً، و(التكملة فيما يلحن فيه العامة) للجواليقى (ت ٥٣٩هـ)، و(المدخل إلى تقويم اللسان) لابن هشام اللخمى (ت ٥٧٧هـ)، وهو رد على كتابى (لحن العوام) للزبيدى، و(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكى الصقلى. ويعد كتاب (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) للصفدى (ت ٧٦٤هـ) أكبر مؤلف فى لحن العامة.

ولم تكن العامية وحدها التى نالت عناية الباحثين والكتاب قديماً، تنبيهاً على ما بها من أخطاء؛ إذ كانت لغة الخاصة من الأدباء والمؤلفين موضوعاً للعديد من المصنفات التى كانت غايتها تخليص لغتهم مما لحق بها من تحريف أو خطأ أو انحراف عن الصواب. ومن الكتب التى عُنيت بهذا الأمر: (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وفيه بيان لأخطاء الكتّاب والمشتغلين بالأدب، إضافة إلى بعض ما يجرى على ألسنة العوام من تصحيف، أو خطأ، أو تغيير حركة الكلمة، أو ما يعدى والعامة لا تعديه، أو ما لا يعدى والعامة تعديه. وقد اختصر (إصلاح المنطق) أبو القاسم الحسين بن على المغربى (ت ٤١٨هـ) فى مؤلف بعنوان (المنخّل)، وتصدى له الخطيب التبريزى (ت ٥٠٢هـ) بالشرح والتهذيب والتقويم فى كتابه (تهذيب إصلاح المنطق). كذلك ألف الحريرى (ت ٥١٦هـ) (درة الغواص فى أوهام الخواص)، وصنع ابن الحنبلى ذيلاً على (درة الغواص) أسماه (سهم الألحاظ فى وهم الألفاظ).

ومن الكتب التى شُغلت بقضية اللحن، وتتبع الخطأ وبيان الصحة والصواب (كتاب الفصيح)، لأبى العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وهو لم يكتف بتصحيح الألفاظ الدائرة على ألسنة الفصحاء من العرب، بل تناول أيضاً كثيراً مما كان شائعاً عند العوام، مثل الخطأ فى الأوزان عندهم، والخلط فى استعمال المشتقات، وقضية التذكير والتأنيث. وقد شرح (الفصيح) ونقده واستدرك عليه ونبه على ما فيه من أخطاء وأوهام: الكثيرون، ومن أهم تلك الشروح: (تصحيح الفصيح وشرحه) لابن دُرُستَويه (ت ٣٣٧هـ)، و(فائت الفصيح) لأبى عمر الزاهد، المعروف

بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)، و(تمام فصيح الكلام) لابن فارس اللغوى (ت ٣٩٥هـ)، و(شرح الفصيح للزمخشرى ت ٥٣٨هـ)، و(ذيل فصيح ثعلب) لموفق الدين عبداللطيف البغدادى (ت ٦٢٩هـ).

وثمة كتب كان موضوعها رواة الحديث، وما يرد عندهم من أخطاء ولحن وتحريف وتصحيف فى ألفاظ الأحاديث، مثل كتاب (إصلاح غلط المَحَدِّثين) للخطَّابى (ت ٣٨٨هـ)، وأخرى عنيت بما شاع بين الفقهاء وعلى ألسنتهم من أخطاء وتصحيفات، وحَرَصت على إيراد الصحيح والصواب، مثل كتاب (غلط الضعفاء من الفقهاء) لابن برى (ت ٥٨٢هـ).

ويهدف هذا البحث إلى تتبع الألفاظ والتراكيب التى تدور على ألسنة العوام فى مصر وتحليلها، ومحاولة إرجاعها إلى أصولها، بغية الوصول إلى حقيقة تلك الألفاظ، وبيان صلتها بالفصحى أو باللغات الأخرى، وإظهار ما أصاب هذه الألفاظ من تغيير فى الأصوات أو فى الدلالة، أو فى بنية اللفظ. وقد لا يكون هناك تغيير، ولكن ثمة جدة فى التركيب عن طريق الجمع بين لفظين فصيحين فى العامية واستعمالهما فى إطار تركيب تلازمى.

ويعتمد البحث ـ من حيث المادة اللغوية ـ على كتاب (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل)، لشهاب الدين الخفاجى المصرى (٩٧٧هـ ـ ١٠٦٩هـ)، تصحيح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجى، مكتبة الحرم الحسينى التجارية، ط١، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م). ويعود اختيارنا لهذا الكتاب إلى أنه يتسم بسمة خاصة تميزه، وهى أنه يجمع بين المعرب والمولد والدخيل والعامى، إضافة إلى كثرة الألفاظ العامية به. وبالكتاب

عدة (عاميات)، ففيه من عامية أهل الشام، وعامية المغرب، وعامية العراق... وعامية أهل مصر، التى رأينا أن يكون بحثنا مقصوراً عليها؛ لما لها من شيوع فى الكتاب، بخلاف ما يناظرها من عاميات. ويضاف إلى هذا أن حظ العامية المصرية من الفهم والإدراك والانتشار فى الأقطار الأخرى أكبر من حظ غيرها من العاميات بين غير أبنائها.

ويتبع هذا البحث المنهج الوصفى القائم على بيان دلالة اللفظ، وتحليل تلك الدلالة، وتأصيل اللفظ بإرجاعه إلى أصوله الفصيحة أو الأعجمية، وإظهار ما طرأ عليه من تغير صوتى أو دلالى أو غيرهما.

وقد تنوعت مراجع هذه الدراسة، فمنها ما تعلق بالألفاظ العامية، مثل: (معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية)، و(معجم عطية فى العامى والدخيل)، و(الدليل إلى معرفة العامى والدخيل)، و(معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية)، و(المحكم فى أصول الكلمات العامية)، ومنها كتب المعربات، نحو: (المعرب من الكلام الأعجمى، و(الألفاظ الفارسية المعربة)، و(تفسير الألفاظ الدخيلة)، ومنها كذلك كتب لحن العامة. ويضاف إلى هذا المعاجم العربية العامة، وكتب الأمثال، والدواوين، إلى غير ذلك من المراجع.

وتجى هذه الدراسة فى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

وفى المقدمة بيان لعلاقة العامية بالفصحى أو بغيرها من اللغات، وأشهر من انبرى للدفاع عن العامية وما يجرى على ألسنة العوام، وأهم مؤلفات (لحن العامة)، وكذا التى شُغلت بقضية اللحن. وفى المقدمة أيضاً توضيح لأهداف البحث وعلة اختياره ومنهجه.

ويقع المبحث الأول، وعنوانه: (الإنسان: مأكله وملبسه وحياته)، فى محورين: أولهما: (الألفاظ الدالة على المأكل والملبس)، وثانيهما: (الألفاظ الدالة على الإنسان: حياته وصفاته وتعاملاته ونطقه).

أما المبحث الثانى فهو بعنوان (الوظائف والصفات والأماكن والكائنات والأدوات والآلات)، وفيه ثلاثة محاور: الأول: (الألفاظ الدالة على الألقاب والحرف والصفات والاستحسان والاستهجان والهواجس)، والثانى: (الألفاظ الدالة على الأماكن والحيوانات والطيور والحشرات وصفاتها)، والثالث: (الألفاظ الدالة على الأوانى والأدوات والآلات والأغطية والدواء).

وأما المبحث الثالث فعنوانه: (التراكيب والكلمات المنحوتة والأفعال)، وفيه محوران: الأول: (التراكيب والكلمات المنحوتة)، والثانى: (الأفعال والأسماء الدالة على الأفعال).

وفى الخاتمة تلخيص لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

وبعد:

فهذا هو جهدنا، وذاك هو عملنا، وغايتنا أن نكون قد أصبنا فيما أقدمنا عليه. وحسب هذه الدراسة إن لم يكن لها نصيب من المدح ألا يكون لها حظ من القَدْح.

د. فتح الله سليمان